تفسير كلّ آية بجملة

﴿٢٢٠﴾ ويسألونك بشأن اليتامى والذي يوجبه الإسلام حيالهم، فقل: إنّ الخير لكم ولهم في إصلاحهم، وأن تضمُّوهم إلى بيوتكم، وأن تخالطوهم بقصد الإصلاح لا الفساد، فهم إخوانكم في الدّنيا يستدعون منكم هذه المخالطة، والله يعلم المفسد من المصلح منكم فاحذروا. ولو شاء الله لشقّ عليكم، فألزمكم رعاية اليتامى من غير مخالطة لهم، أو تركهم من غير بيان الواجب لهم، فيربون على بغض الجماعة ويكون ذلك إفسادًا لجماعتكم وإعناتًا لكم، إذ إنّ قهرهم وذلّهم يجعل منهم المبغضين للجماعة المفسدين فيها، وإنّ الله عزيز غالب على أمره، ولكنّه حكيم لا يشرع إلّا ما فيه مصلحتكم.

﴿٢٢١﴾ وإذا كانت مخالطة اليتامى لا حرج فيها، فإنّ الحرج في مخالطة أهل الشّرك، فلا ينكح المؤمن مشركة لا تدين بكتاب سماويّ، ولا يحمل المرء منكم على زواج المشركة لمالها وجمالها وحسبها ونسبها. فالمؤمنة التي وقع عليها الرقّ خير من المشركة الحرّة ذات المال والجمال والحسب والنّسب، ولا يزوّج المرء منكم من له عليه ولاية من النّساء مشركًا لا يؤمن بالكتب السّماوية، ولا يبعث أحدكم على إيثار المشرك غناه وشرفه، فخير منه العبد المؤمن، فأولئك المشركون يجتذبون عشراءهم إلى المعصية والشّرك وكلّ ما يستوجب النّار. والله إذ يدعوكم إلى اعتزال المشركين في النّكاح، يدعوكم إلى ما فيه صلاحكم ورشادكم لتنالوا الجنّة والمغفرة، وتسيروا في طريق الخير بتيسيره، والله يبيّن شرائعه وهديه للنّاس لعلهم يعرفون صلاحهم ورشدهم.

﴿٢٢٢﴾ ويسألونك يا محمّد عن إتيان الزّوجات زمن المحيض، فأجبهم: أنّ المحيض- الحيض- مستقذر، فامتنعوا عن إتيانهنّ مدّته، ولا تُباشروهنّ حتّى يطهرن، فإذا تطهّرن فأتوهنّ في المكان الطبيعي، ومن كان قد وقع منه شيء من ذلك فليتب، فإنّ الله يحبّ من عباده كثرة التّوبة والطّهارة من الأقذار والفحش.

﴿٢٢٣﴾ زوجاتكم هنّ موضع النّسل كموضع البذر ينبت النّبات، فيباح لكم أن تأتوهنّ على أيّة طريقة تشاؤون إذا كان ذلك في موضع النّسل، واتّقوا الله أن تعصوه في مخالطة المرأة، واعلموا أنكّم ملاقوه ومسؤولون عنده، والبشرى للذين يقفون عند حدوده تعالى فلا يتعدّونها.

﴿٢٢٤﴾ لا تجعلوا اسم الله معرَّضًا لكثرة الحلف به، لأنّ ذلك يُنافي تعظيم اسم الله، وأنّ الامتناع عن كثرة الحلف باسم الله يؤدّي إلى البرّ والتقوى والقدرة على الإصلاح بين النّاس، إذ يكون الممتنع جليل القدر في أعين النّاس موثوقًا به بينهم فيقبل قوله، والله سميع لأقوالكم وأيمانكم، عليم بنيّاتكم.

الآية ٢٢٠

الولاية على مال اليتيم

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ .

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٢٢٠): كانوا في الجاهليّة يتحرّجون من مخالطة اليتامى في مأكل ومشرب وغيرهما، فعَنِ ابْنِ عبّاس ﷺ، قَالَ: "لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١] وَ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿سَعِيرًا﴾[٢] قَالَ: انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ، فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، يَفْصِلُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ، أَوْ يَفْسُدَ، فَيُرْمِي بِهِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ إِلَى ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣] فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ"[٤].

المناسبة: الحكمة في وصل السّؤال عن اليتامى بالسّؤال عن الإنفاق والسّؤال عن الخمر والميسر: هي التّذكير بطائفة من النّاس هي أحقّ بالإنفاق عليها لإصلاحها وتربيتها، وهي جماعة اليتامى، فينفق عليها من العفو الزّائد عن الحاجة.

المعنى العام

يجيب الله تعالى من سأل النّبيّ ﷺ في الآية السّابقة عن القدر المطلوب إنفاقه، فيقول ﷻ: هو العفو أي السّهل الذي لا مشقّة في إعطائه، ولا ضرر على المعطي في فقده، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي في زوال الدّنيا وفنائها، وإقبال الآخرة وبقائها، والعاقل من آثر ما يبقى على ما يفنى. وعن الحَسَنِ، قَرَأَ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ فِي الْبَقَرَةِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[٤] ثم قَالَ: ((هِيَ وَاللهِ لِمَنْ تَفَكَّرَ فِيهَا لِيَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ ثُمَّ دَارُ فَنَاءٍ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ دَارَ الآخِرَةِ، دَارُ جَزَاءٍ، ثُمَّ دَارُ بَقَاءٍ))[٥] لتعلموا فضل الآخرة على الدّنيا.

قوله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ ذكرنا سابقًا في سبب نزول الآية، أنّ الصّحابة الكرام تحرّجوا من مخالطة اليتامى في مأكلهم ومشربهم، فبيّن لهم تعالى بقوله: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي على حدة، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ وإن خلطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم، فلا بأس عليكم، لأنّهم إخوانكم في الدّين، ولهذا عقّب تعالى بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ فيعلم سبحانه من قصده ونيّته الإفساد أو الإصلاح، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ : فلو شاء الله لضيّق عليكم وأحرجكم، ولكنّه وسّع عليكم وخفّف عنكم، وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣]، بل جُوّز الأكل منه للفقير بالمعروف، إمّا بشرط ضمان البدل لمن أيسر، أو مجّانًا كما سيأتي بيانه لاحقًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي هو تعالى الغالب الذي لا يمتنع عليه شيء، الحكيم فيما يشرّع لعباده من الأحكام.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢. (٢) سورة النساء، الآية: ١٠. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.
(٤) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٢٤٩٩، كتاب: الجهاد، باب: وأمّا حديث عبد الله بن يزيد الأنصاريّ، الحديث صحيح.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٩-٢٢٠.
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن الحسن، باب: قوله تعالى: ﴿وَيَسألونَكَ عَن اليتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ﴾، ج٢، ص٣٩٤.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآية:

١.استحباب التّفكّر في أمر الدّنيا والآخرة، لإعطاء الأولى بقدر فنائها، والآخرة بحسب بقائها.

٢.جواز خلط مال اليتيم بمال كافله إذا كان أربح له وأوفر، وهو معنى الإصلاح في الآية.

٣.حرمة مال اليتيم، والتّحذير من المساس به وخلطه إذا كان يسبّب نقصًا فيه أو إفسادًا.

٤.قوله جلّ ذكره: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾.إصلاح حالهم بما يكون فيه تأديبهم أتمّ من إصلاح مالهم، ثمّ الصّبر على احتمال الأذى منهم مع بذل النّصح، و يعلّمهم الدّين ويتابعهم على المحافظة على الصّلوات كما يجب على الوالدين أن يفعلوا مع أولادهم.

٥.قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فيُعاملُ كلًّا على سَواكِن قلبه من القُصُود، لا على ظواهر كَسْبِه من جميع الفنون.

٦.عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ»[١]، وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ، وَلَا كُوَّةٌ لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ»[٢].

من أسماء الله الحسنى: العزيز الحكيم

في الأمر والنّهي

العمل بالآية:

أكرم يتيمًا، أو اسعَ في كفالته، وامسح على رأسه ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾.

تأكيد تحريم مال اليتيم

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٣].
- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤].
- وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٥].

---

(١) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن جندب بن سفيان، حديث رقم: ١٧٠٢، باب: الجيم، سلمة بن كهيل، عن جندب، الحديث حسن.

(٢) رواه أحمد في مسنده، عن أبي سعيد، حديث رقم: ١١٢٣٠، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند، أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠. (٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢. (٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

- وعن أبي هريرة ﷺ، عن النّبيّ ﷺ قال: "«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ»"[1].

في الأخلاق والآداب

من الكبائر: أكلُ مالِ اليتيمِ وَظُلمُه:

- قال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[2].
- وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[3].
- وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[4]، فلا تقرب أموال اليتامى إلا بالتي هي أحسن، وذلك بالتّصرّف فيها بالتّجارة والتّنمية بالنّصح وأداء الأمانة، حتّى يبلغ اليتيم أشدّه ويبلغ الحُلُم ويزول عنه السّفه فيكون رشيدًا، فإذا رشد دُفع إليه ماله وأُشهد عليه، ولا يجوز قرب ماله للطّمع فيه والإساءة إليه، بل هذا من أعظم أسباب العقوبات، ومن كبائر الذّنوب.
- عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال في حديث المعراج: «ثُمَّ مَضَيْتُ فَإِذَا أُنَاسٌ قَدْ وُكِّلَ بِهِمْ رِجَالٌ يَفْكُّونَ لِحَيَهُمْ وَآخَرُونَ يَجِيئُونَ بِالصَّخْرِ مِنَ النَّارِ يَقْذِفُونَهَا فِي أَفْوَاهِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ: هَؤُلَاءِ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[5]»[6].
- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أُحَرِّجُ مَالَ الضَّعِيفَيْنِ اليَتِيمِ وَالمَرْأَةِ»[7] أي أوصيكم باجتنابهما. أي أُضَيِّقُه وأُحرِّمُهُ على من ظلمَهُما.
- إنّ كفالة اليتيم هي القيام بأموره، والسّعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله اذا كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى، لحديث رسول الله ﷺ: «كَافِلُ اليَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[8] قوله في الحديث: «لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ» أي سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيًّا عنه، فالقرابة مثل أن يكفله جدّه أو أخوه أو أمّه أو خاله أو غيره من أقاربه، والأجنبيّ من ليس بينه وبين اليتيم قرابة.
- يُبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة، ولهب النّار تتأجّج في بطونهم، فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "«يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ قَوْمٌ مِنْ قُبُورِهِمْ تَأَجَّجُ أَفْوَاهُهُمْ ناراً» فَقِيلَ: مَنْ هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَ اللهَ يَقُولُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً﴾[9]»"[10].

التّوجيهات:

- سؤال الموثوقين عن أحكام الأموال وحفظ الحقوق سمة من سمات المتّقين المفلحين، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾.

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٧٦٦، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠. (٣) سورة النساء، الآية: ٢. (٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢. (٥) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٦) رواه ابن أبي أسامة الحارث في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، عن أبي سعيد، حديث رقم: ٢٧، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في الإسراء.
(٧) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٧١٦٧، كتاب: الأطعمة، باب: وأمّا حديث عمر، الحديث صحيح.
(٨) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٩٨٣، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم.
(٩) سورة النساء، الآية: ١٠.
(١٠) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن أبي برزة، حديث رقم: ٥٥٦٦، كتاب: الوعيد لمانع الزّكاة، باب: ذكر الإخبار عن وصف ما يعذّب به في القيامة.

في السّيرة والشّمائل

- كان رسول الله ﷺ يحسن إلى اليتامى، ويبرّهم، ويوصي بكفالتهم والإحسان إليهم... وبيّن ما ينبغي أن تكون عليه علاقة المؤمنين بعضهم ببعض، فجعلها كالبناء المتلاحم الذي لا خلل فيه، فقال ﷺ: "«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"(١)، وبيّن الفضائل المترتّبة على ذلك.
- وكان رسول الله ﷺ من أوائل الذين لمسوا آلام اليتيم وأحزانه، واهتمّ ﷺ باليتيم اهتمامًا بالغًا من حيث تربيته ورعايته ومعاملته، وضمان سبل العيش الكريمة له، حتّى ينشأ عضوًا نافعًا، ولا يشعر بالنّقص عن غيره من أفراد المجتمع، فيتحطّم ويصبح عضوًا هادمًا في الحياة.. فقال ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(٢). قال أهل العلم: حقٌّ على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النّبيّ ﷺ في الجنّة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك.
- وجعل رسول الله ﷺ الإحسان إلى اليتيم علاجًا لقسوة القلب، وإنّ أبعد القلوب عن الله القلب القاسي، فعن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: "أتى رجلٌ يَشْكُو قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَدْنِ الْيَتِيمَ إِلَيْكَ، وَامْسَحْ بِرَأْسِهِ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ، وَتُقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ»(٣).
- كما بشّر النّبيّ ﷺ من أحسن إلى اليتيم ولو بمسح رأسه ابتغاء وجه الله، بالأجر والثّواب الكبير، حيث قال: «مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»(٤).

إنّ هذا التّوجيه الذي ذكره النّبيّ ﷺ من مسح شعر اليتيم، هو الحدّ الذي لا يصعب على أحد، ويمكن أن يقوم به كلّ إنسان، فيشعر اليتيم بالحبّ والحنان، وينال صاحبه الحسنات. بل كان رسول الله ﷺ يحرص كلّ الحرص على رعاية مشاعر الأيتام وإدخال السّرور عليهم، ففي قصّة اختصام أبي لبابة رضي الله عنه ويتيم في نخلة: قضى رسول الله ﷺ لِأَبِي لُبَابَةَ فِي يَتِيمٍ لَهُ خَاصَمَهُ فِي نَخْلَةٍ فَقَضَى بِهَا لِأَبِي لُبَابَةَ، فَبَكَى الْغُلَامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي لُبَابَةَ: «أَعْطِهِ نَخْلَتَكَ»، فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: «أَعْطِهِ إِيَّاهَا وَلَكَ عِذْقٌ فِي الْجَنَّةِ»، فَقَالَ: لَا، فَسَمِعَ بِذَلِكَ ابْنُ الدَّحْدَاحَةِ فَقَالَ لِأَبِي لُبَابَةَ: أَتَبِيعُ عِذْقَكَ ذَلِكَ بِحَدِيقَتِي هَذِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ جَاءَ ابْنُ الدَّحْدَاحَةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: النَّخْلَةُ الَّتِي سَأَلْتَ لِلْيَتِيمِ، إِنْ أَعْطَيْتُهُ أَلِي بِهَا عِذْقٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»، ثُمَّ قُتِلَ ابْنُ الدَّحْدَاحَةِ شَهِيدًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رُبَّ عِذْقٍ مُذَلَّلٍ لِابْنِ الدَّحْدَاحَةِ فِي الْجَنَّةِ»(٥).
- ولمّا استشهد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ أهل بيته وقال: «لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ ادْعُوا إِلَيَّ بَنِي أَخِي».. جَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: «الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟!»(٦).
- ولخطورة وعظم حقّ مال اليتيم، وجه رسول الله ﷺ من كان ضعيفًا من الصّحابة ألّا يتولّين مال يتيم، فعن أبي ذر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»(٧).

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي موسى، حديث رقم: ٢٤٤٦، كتاب: المظالم والغصب، باب: نصر المظلوم.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن سهل بن سعد، حديث رقم: ٦٠٠٥، كتاب: الأدب، باب: فضل من يعول يتيمًا.
(٣) رواه عبد الرزّاق في مصنفه، عن أبي الدرداء، حديث رقم: ٢٠٩٤٦، كتاب وباب: المجلد الثامن.
(٤) رواه أحمد في مسنده، عن أبي أمامة، حديث رقم: ٢٢١٥٣، مسند: تتمّة مسند الأنصار، مسند: أبي أمامة الباهليّ الصدّيّ بن عجلان، الحديث صحيح لغيره دون الشطر الأول.
(٥) رواه البيهقيّ في السُّنن الكبرى، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ١١٣٤٨، كتاب: الصلح، باب: صلح الإبراء والحطيطة، وما جاء في الشفاعة في ذلك.
(٦) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن جعفر، حديث رقم: ١٧٥٠، مسند: أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، مسند: حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، الحديث إسناده صحيح.
(٧) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي ذرّ، حديث رقم: ١٨٢٦، كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة.

في السّلوك

الإشارة: كما نهى الحقّ ﷻ عن السّرف في الأموال، ونهى عن السّرف في الأحوال، فالسّرف من حيث هو، يؤدّي إلى الملل والانقطاع، كما في الحديث: «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ قَلَّ»[1]، والله ما رأينا أحدًا أسرف في الأحوال إلا مَلَّ، وضعف حاله، وفي الحديث: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»[2].

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَعِنِّي فِي مُكَاتَبَتِي، فَقَالَ: "أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صَبِيرٍ دَيْنًا لَأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»"[3].

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ١١٥٦، كتاب: الصيام، باب: صيام النّبيّ ﷺ.
(٢) رواه البيهقيّ في السُّنن الكبرى، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ٤٧٤٣، كتاب: جماع أبواب صلاة التطوّع، وقيام شهر رمضان، باب: القصد في العبادة، والجهد في المداومة.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن عليّ، حديث رقم: ١٩٧٣، كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، والذكر، باب: وأمّا حديث رافع بن خديج، الحديث إسناده صحيح.